الموقع الرسمي لـ:

الأستاذ الدكتور موسى إسماعيل

التقوى

وصية الله إلى خلقه

إعداد:

أ.د/ موسى إسماعيل

رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُحْتَبٍ فِي بُرْدَةٍ، وَإِنَّ هُدَّابَهَا لَعَلَى قَدَمَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «عَلَيْكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ لِلْمُسْتَسْقِي مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَائِهِ، أَوْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَلَا يُحِبُّهَا اللَّهُ، وَإِنِ امْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ مِنْكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِشَيْءٍ تَعْلَمُهُ مِنْهُ، دَعْهُ يَكُونُ وَبَالُهُ عَلَيْهِ، وَأَجْرُهُ لَكَ، وَلَا تَسُبَّنَّ شَيْئًا».

وينبغي لكل مؤمن ومؤمنة الاقتداء به ﷺ، والاستجابة لأمره، والأخذ بوصيّته، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: 7].

الأستاذ الدكتور موسى إسماعيل

www.prmoussaismail.com

وَأَخْشَاكُمْ لَهُ».

ومن رحمته ﷺ بأمّته أنّه كان حريصًا على هدايتهم وإرشادهم، يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشّرّ، ويأخذ بأيديهم إلى طريق الهدى والرّشاد، فكان ﷺ يوصي أمّته بتقوى الله تعالى في كلّ مناسبة، يحثّهم عليها ويذكّرهم بها، وهي من آخر أوصى به ﷺ كما جاء ذلك في خطبة حجّة الوداع.

وقد وردت أحاديث كثيرة مستفيضة يوصي فيها أمّته بالتّقوى، منها ما رواه أحمد وأبو داود والتّرمذي وابن ماجه بسند صحيح عن العِرْبَاض بن سَارِيَةَ السُّلَمِيّ رضي الله عنه قال: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وروى أحمد والتّرمذي وابن ماجه بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي، قَالَ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ».

وروى أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والتّرمذي بسند صحيح عن سُلَيْمِ بْنِ جَابِرٍ الهُجَيْمِيّ

التقوى

وصيّة الله إلى خلقه

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أمّا بعد؛ فإنّ الله تعالى أوصى عباده بتقواه، وأوصى بها الأنبياء أممهم، والرّابحُ في الدّنيا والآخرة من اتّقى الله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

التّقوى وصيّة الله للأوّلين والآخرين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 131].

قال الفخر الرّازي في تفسيره الكبير: «المراد بالآية أنّ الأمر بتقوى الله شريعة عامّة لجميع الأمم، لم يلحقها نسخ ولا تبديل، بل هو وصيّة الله في الأوّلين والآخرين».

وهذا يدل على عظمتها وشرفها وعلو مرتبتها، لأنّها جامعة لكلّ خصال الخير، ومن تعلّق بها نال الكرامة عند الله في الدّارين.

وفي هذا المعنى يقول الفيروزآبادي في تفسيره بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز: «يُفهِم أنّه لو كانت في العالم خَصْلة هي أصلح

للعبد، وأجمع الخير، وأعظم للأجر، وأجلّ في العُبوديّة، وأعظم في القدر، وأولى في الحال وفي المآل من هذه الخصلة، لكان الله سبحانه أمر بها عباده، وأوصى خواصّه بذلك، لكمال حكمته ورحمته، فلمّا أوصى بهذه الخصلة الواحدة جميع الأوّلين والآخرين من عباده، واقتصر عليها، علمنا أنّها الغاية التي لا متجاوز عنها، ولا مقتصر دونها، وأنّه عزّ وجلّ قد جمع كلّ محض نُصْح ودلالة وإرشاد وسُنَّة وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصيّة الواحدة».

ولعظمتها وشرفها ذكرها الله تعالى في كتابه في (258) موضعًا، جاءت بصيغة الأمر في (182) موضعًا، وبصيغة الاسم في (76) موضعًا، وذُكِرَتْ بالمعنى فيما لا يُحْصَى من المواضع.

التّقوى وصية الأنبياء عليهم السّلام لأقوامهم.

ما من نبي من الأنبياء إلّا وقد أوصى قومه بالتّقوى، وحثّهم على التّزوّد بها، كما أخبر الله عن نبيّه نوح عليه السّلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (110)﴾ [الشعراء: 105 ـ 110].

وقال عن هود عليه السّلام: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126)﴾ [الشعراء: 123 ـ 126].

وقال عن صالح عليه السّلام: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144)﴾ [الشعراء: 141 ـ 144].

وقال عن لوط عليه السّلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (163)﴾ [الشعراء: 160 ـ 163].

وقال عن شعيب عليه السّلام: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179)﴾ [الشعراء: 176 ـ 179].

وقال عن إلياس عليه السّلام: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124)﴾ [الصافات: 123 ـ 124].

التقوى وصية النبي ﷺ لأمته.

كان ﷺ أعلم الخلق بربّه، وأتقاهم له، وأخشاهم لله، وأشدهم اجتهادًا في طاعة الله، وأكثرهم ذكرًا لمولاه، وأعظمهم قُرْبًا من الله، أوسعهم خُلُقًا، وصفه ربّه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾ [القلم: 4].

وفي الحديث عند مسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُقَبِّلُ الصَّائِمُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: سَلْ هَذِهِ، لِأُمِّ سَلَمَةَ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ،**